يا عابد الصالحين بل الله فاعبد

أو

الوقفات مع آي التوحيد في القرآن

أعدَّه

عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن الجنيد

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي له الحمد كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يُرجع الأمر كله، خلق الجِنَّ والإنس لِيَعبدوه، وأرسَل إليهم الرُّسل وأنزَل عليهم الكتب لِيأمُروهم بعبادته، ويُعرِّفوهم كيف وبما يعبدونه، كاشفِ الشِّدات والمَكاره، ومُفرِّجِ الكُروب والخُطوب، ومُزيلِ الهُموم والغُموم.
وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، المُتفرِّد بالخلق والمُلك والتدبير، الذي يَتعيَّن علينا أنْ لا ندعو إلا هو، ولا نخاف ولا نرجو إلا هو، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، أعرف الخلق بالله وأتقاهم وأكرمهم وأفضلهم في كل وصف حميد، وكل عمل مبرور، وسَعي مشكور، فاللهم صَلِّ على عليه، وعلى آله وأصحابه أُولِي الإخلاص والجِدِّ في طاعة مولاهم، والأخذِ بعزائم الأمور، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

ـــ أمَّا بعدُ، فيَا أهل الإسلام والقرآن ـ رزقكم الله حُسن الختام، وطيِّب الفِعال، وسديد الأقوال ـ:
إنَّ ممَّا لا شَك فيه ولا رَيب أنَّ جميعكم يعلم أنَّ الله ـ جلَّ وعلا ـ ما خلقنا وأوجدنا على ظهر هذه الأرض، ومنَّ علينا برزقه، وأرسَل إلينا رسوله محمدًا ﷺ، وأنزَل علينا كتابه القرآن:
إلا لأجل أنْ نعبدَه وحدَه، إلا لأجل إفراده وحدَه بجميع العبادات، إلا لأجل أنْ لا نُصلِّي ولا نصوم ولا نُزكِّي ولا نحج إلا له سبحانه، ولا نتوجَّه بعبادة الدعاء إلا إليه وحدَه، ولا نذبح إلا له، ولا ننذر إلا له، ولا نطوف إلا له، وأين يكون طوافنا هذا؟ إنَّه حول بيته الحرام، حول الكعبة المُعظَّمة، حول البيت المُطهر العتيق، لا حول قبرِ أحدٍ مِن الخلق وضريحِه، أو مَزارِه ومَشهدِه، أو قُبَّتِه وعتَبَتِه.
وقد قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في أواخِر سورة "الذاريات" في بيان وتقرير هذا الأمر الجليل، والأصل الكبير:
{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }.
وقال ـ جلَّ وعلا ـ في سورة "البيِّنة":

{ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ }.

ولمَّا وصَل أبو سفيان بن حرْب ـ رضي الله عنه ـ إلى بلاد الشام، قُبيل إسلامه، دعاه ملِك الرُّوم هِرَقل إلى مجلسه ثم سأله عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له:

((مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟)).

فقال أبو سفيان ـ رضي الله عنه ـ: ((يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ وَالصِّلَةِ)).

[أخرجه: البخاري (٧)، وغيره.]

ويَعنِي ﷺ بقوله: ((اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)) **أي:** اصرفوا جميع عباداتكم لله وحدَه، ولا تشركوا معه أحدًا مِن الخلق في شيء مِنها، لا عبادة الدعاء، ولا عبادة النَّذر، ولا عبادة الطواف، ولا عبادة الذَّبح، ولا عبادة الصلاة، ولا عبادة الحج، ولا غير ذلك مِن العبادات.

ـــ أهل الإسلام والقرآن ـ سلَّمكم الله ومَنَّ عليكم بستره ورضوانه ـ:

إنَّ مِن أعظم الطاعات، وأجَلِّ القُربات، وأفضل الحسنات، التي نتقرَّب بها إلى الله خالق الأرض والسماوات ومَن فيهن، ونعبدُه بها إلى أنْ نموت:

عبادة الدعاء.

فلا ندعو إلا هو سبحانه، ولا نستغيث إلا به، ولا نستعيذ إلا به، ولا نطلب المَدد والعون والنَّصر إلا مِنه، ولا نَسأل غيره الشفاء والعافية، ولا نسأل تفريج الكُرب إلا هو، ولا ندعو بجلْب أيِّ نفعٍ أو دفع أيِّ ضُرٍّ إلا إيَّاه، ولا نطلب شفاعة أحد لنَا يوم القيامة إلا مِنه.

فطلب الإعانة والإغاثة والإعاذة والمَدد والتفريج والنصر والشفاء وإزالة الهُموم وقضاء الحوائج ودفع الضُّر:

دعاء، والدعاء عبادة، بل هو العبادة، حيث صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:

((الدعاء هو العبادة)).

[أخرجه: أحمد (١٨٤٣٦)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٢٤٧)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وغيرهم.]

والعبادة بجميع أنواعها حقٌّ خالص لله ـ جلَّ وعلا ـ وحدَّه، لا يجوز أنْ تصرف إلا له وحدَه، هذا هو حُكم الله وقضاؤه الكريم الذي يجب امتثاله، والعمل بمُوجبه، ويَشْرُف مَن قام به وحقَّقه، وكان مِن أهله وأنصاره ودعاته.

حيث قال ـ جلَّ شأنه ـ في سورة "الإسراء" مُقرِّرًا ذلك:

{ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ }.

وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ مُقرِّرًا له في سورة "يوسف":

{ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }.

ولَكَم والله نقرأ في صلاتنا، في فرضِها وتطوُّعِها، بل في كل ركعة مِن ركعاتها:

{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ }.

ومَن خالف هذا الحُكم الذي حَكم به ربُّ العالمين على عباده أجمعين، وخرج عنه وتجاوزه، فأشرَك مع الله غيرَه في شيء مِن العبادات، ولو عبادة واحدة ـ فصرَفها له، كأنْ يَصرفها لملَكٍ مِن الملائكة، أو رسولٍ أو نَبِيّ، أو ولِيٍّ صالح، أو صنَمٍ أو نار، أو شجرٍ أو حيوان، فقد عصَى الله ربَّه، وفعل ما نهاه عنه وزجرَه، وحرَّمه عليه، وكرِهَه له، بل إنَّه قد وقع في أشنع ذنْبٍ وأكبرِه وأخطرِه، وأعظمِ جُرمٍ وأشدِّه وأبشعِه، وقع في الشِّرك الأكبر المُخرج عن مِلة الإسلام، والكفرِ الناقض للإيمان، ودخل في الباب المُزحزِح مِن الجنَّة إلى الخلود في النَّار، وعمل العملَ المُحبِط والمُفسِد لجميع العبادات، وصُنوف الطاعات والبِرّ والإحسان.

ـــ أهل الإسلام والقرآن ـ أكرمكم الله بالتوحيد والسُّنة إلى الممات ـ:

إنَّ مِن أشدِّ ما يُحزن قلْب العبد المُوحِّد لله ربَّه، قلْب العالم بكتاب الله القرآن وسُنَّة ﷺ التي هي أحاديثه، المُتَّبِع لهما، العامل بهما، ويجعله في أسًى شديد، وأسَفٍ كبير، وضِيقٍ مؤلم مرير:

ما يَراه ويشاهده ويسمعه مِن بعض الناس، مِن بعض مَن حوله، مِن بعض من يُصلِّي ويصوم، ويُزكِّي ويحج، ويقرأ القرآن، ويُسبِّح ويُهلِّل ويُكبِّر ويَستغفر:

مِنْ صَرْفِ بعض العبادات لغير الله خالقِه، لاسِيَّما أكثر عبادة ورَد ذِكرها في القرآن الكريم، ألا وهي:

عبادة الدعاء.

فتَراه يتوجَّه بها ويَصرفها في بعض أحيانه، وعند شدائده، وفي احتفالاته، لرسول الله محمد ﷺ.

فيقول داعيًا: "فرِّج عنَّا يا رسول الله"، أو يقول: "يا رسول الله اجعلنا في شفاعتك".

وآخَر يَصرفها للبدوي، فتَسمعه يدعوه فيقول: "مدَد يا بدوي، مدَد يا قاضي الحاجات".

يعني: أمِدَّنا بالعون، وما نحتاج إليه، ونطلبه مِنك.

وثالث يدعو الجَيلاني، فيقول: "أغثنا يا جَيلاني".

ورابع يدعو العَيدروس، فيقول: "ادفع عنَّا يا عَيدروس".

وخامس يدعو الحُسين فيقول: "اكشف ما بِنا يا حسين، أجِرنا مِن النَّار يا حسين".

وسادس يدعو الرِّفاعي فيقول: "شيئًا لله يا رِفاعي".

أي: أعطنا شيئًا لأجل الله.

وذاك يدعو المِيرغَني، وذاك يدعو الشَّاذلي، وذاك يدعو المُرسي أبا العباس، وذاك يدعو الزَّيلعي، وذاك يدعو نَفيسَة، وذاك يدعو الكاظم، وذاك يدعو ابن علوان، وذاك يدعو التِّيجاني، وذاك يدعو العباس بن عبد المطلب، وذاك يدعو الدُّسوقي.

وتلك تدعو زينب، وتلك تدعو فاطمة الزَّهراء، وتلك تدعو رابعة العَدَوية، وتلك تدعو أبا حَديد، وتلك تدعو سَكينة، وتلك تدعو البُرهاني.

ومِنهم مَن يدعو حسن حسُّونه، ومِنهم مَن يدعو الشيخ ابن علي، ومِنهم مَن يدعو ابن شِهاب، ومنهم مَن يدعو النَّقشبندي، ومِنهم مَن يدعو ابن عيسى، ومِنهم مَن يدعو الهجوري، ومِنهم مَن يدعو عبد العال، ومِنهم مَن يدعو الجَناتي، ومِنهم مَن يدعو سهلَت، وهكذا.

حتى إنَّه لا تكاد تخلو بلادٍ ولا أهل جهة إلا القليل مِن وجود مَن يعبدونه، ويصرفون له العبادة، فيَدْعونه مع الله الذي خلقه وخلقهم وخلق جميع الخلق، وبيده مقاليد كل شيء.

وصدق الله القائل في بيان حال العابد مع الله غيره، وحال المعبود مع الله في سورة "الأعراف":

{ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ }.

ـــ أهل الإسلام والقرآن ـ فقهكم الله في دِينه وشرعه ـ:

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لنبيِّه الكريم محمد ﷺ في سورة "الجن":

{ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ }.

فنَهَى الله سبحانه وزجَر نبيَّه ﷺ في هذه الآيات الكريمات أنْ يُشرك معه أحدًا في عبادة الدعاء، حيث قال له:

{ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا }.

أي: لا تدعوا معه أيّ أحدٍ حتى ولو عظُم وجَلَّ بين الخلق، حتى ولو كان ملَكًا مُقرَّبًا، أو نبيًّا مُرسَلًا، أو ولِيًّا صالحًا.

فصَدَع النبي ﷺ بين أظهُر أهل الشِّرك في زمَنه بإفراد الله وحدَه بعبادة الدعاء، خلافًا لِمَا هُم عليه مِن دعاءِ الله وغيرِه معه، حيث قال الله سبحانه عن صدْعه هذا:

{ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ } **أي:** رسوله محمد ﷺ، { يَدْعُوهُ } **أي:** يُفردَه وحدَه سبحانه بعبادة الدعاء.

{ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا } **أي:** تجمَّعوا وتظاهروا عليه ليُبطلوا الحق الذي جاءهم به، ويُطفئوا نورَه، وأعظمُه وأكبرُه وأجلُّه:

أنَّ العبادة حق لله وحدَه، لا يجوز أنْ يُصرف مِنها شيء لغيره، لا عبادة دعاء، ولا عبادة ذبح، ولا نذر، ولا طواف، ولا غير ذلك مِن العبادات.

فأبَى الله إلا أن يتم نوره، ويتم هذا الأمر، وينصر نبيه على من ناوأه.

ثم أمرَه ـ جلَّ وعلا ـ أنْ يقول لهم لمَّا رأوه يُفرِد الله وحدَه بعبادة الدعاء:

{ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا }.

أي: قل لهم يا محمد إنَّني لا أدعوا غير ربِّي وحدَه، ولا أصرف عبادة الدعاء إلا له، ولا أُشرِك معه فيها أحدًا كما تفعلون أنتم.

فدلَّت هذه الآية الجليلة:

على أنَّ صرْف عبادة الدعاء لغير الله شِرك بالله، وأنَّ مَن دعا مع الله غيره فقد أشرَك بالله.
والشِّرك أكبر وأعظم وأشنع ذنْب عُصِي الله به.
وقد صحَّ أنَّ النبي ﷺ قال: ((أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ...)).
[أخرجه: البخاري (٦٨٧١).]
ثم هذا الذي يدعو البَدَوي أو يدعو الحسين أو يدعو الجيلاني أو يدعو المِيرغني أو يدعو العيدروس أو يدعو غيرهم.
ماذا يُريد مِنهم؟
إنَّه يطلب مِنهم:
١ ـ إمَّا جلْبَ النفع له أو لأهله وذُرِّيته، كالشفاعة عند الله، أو الرزق، أو الولد، أو العون، أو تفريج الكُرب، أو الشِّفاء، أو غير ذلك.
٢ ـ وإمَّا دفعَ الضُّر عن نفسه أو أهله وذُرِّيته، مِن كُروبٍ، وأمراض، وكوارث، وغيره.
ألا فلنَسْمع أو نقرأ أو ننظر أمرَ الله لِنبيِّه ﷺ بعد حُكمِه بأنَّ دعاء غيرِه معه شِرك وكُفر، حيث أمرَه أنْ يُعلِم قومَه والناس معهم بأنَّه لا يَملك لأحد شيئًا مِن ذلك، لا ضَرًّا ولا رَشَدًا، ولو كان لأقربِ قريب، فقال سبحانه:
{ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا } أي: قُل لهم يا محمد ذلك.
فإذا كان سيِّد ولد آدم، وأخشاهم لله وأتقاهم، وأفضلهم عنده، وأكرمهم عليه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لا يَملك ذلك لأحد.
أفيَملكه البدوي؟ أيَملكه الكاظم؟ أيَملكه التِّيجاني؟ أيَملكه الدُّسوقي؟ أيَملكه الشَّاذلي، أتَملكه زينب؟ أتَملكه رابعة؟ أيَملكه غيرهم مِن الخلق؟
لا والله لا يَملكون ذلك، ولا غيرهم مِن الخلق أجمعين، لا يَملكون شيئًا حقيرًا، ولا صغيرًا، ولا كبيرًا.
بل قد صحَّ عن النبي ﷺ أنَّه قام في قومه وتكلَّم فعَمَّ وخصَّ، فقال:
((يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ: اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا)).
[أخرجه: البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).]

أتُريدون أنْ تسمعوا أو تقرؤوا أشدَّ مِن ذلك وأعظم وأبلغ؟
يقول الله ـ عزَّ شأنه ـ آمِرًا نبيَّه ﷺ بعد ذلك مباشرة أنْ يقول للناس:
{ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً }.
أي: قُل لهم وأخبِرْهم يا محمد بأنَّ الله لو أرادك بسُوء وضُر فلن تستطيع دفعَه عن نفسك، ولن تجد مَن يدفعه عنك مِن الخلق، ويُنقذك مِنه، ولن تَجد ملاذًا تلوذ به مِنه وتَحتمِي.
وبعد ذلك أمرَه سبحانه بأنْ يُبيِّن للناس وظيفته، وما هو مطلوب مِنه معهم وجهتهم، فقال سبحانه:
{ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ }.
أي: قُل لهم يا محمد ليس لي مَزِيَّة عليكم أيُّها الناس، إلا أنَّ الله خصَّني بإبلاغ رسالته، ودعوة الخلق إلى عبادته وحدَه، هذا الذي أملِك أنْ أفعلَه، وهذه هي المُهمَّة التي وُكِّلْت بها، وأُنِيطَت بي، فأنا عبدٌ لله مِثلكم، ورسول مِنه إليكم لتعبدوه وحدَه، وأعبُده معكم، ولست معبودًا معه.
ـــ أهل الإسلام والقرآن ـ بصرَّكم الله بدِينه وشرعه ـ:
قال الله ـ تبارك وتقدَّس ـ في سورة "فاطر":
{ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ }.
يقول الله سبحانه في هذه الآيات الجليلات:
{ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ } **أي:** له مُلك كل شيء، له مُلك السماوات والأرض، وما فيهن، وما بينَهن.
{ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ } **أي:** هؤلاء الذين تدعونَهم معه، مِن الملائكة، أو الرُّسل والأنبياء، أو الأولياء والصالحين، أو غيرهم، ما هو حالهم:
{ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ }.
أتدرون ما هو القِطمير؟
إذا أخذتَ تمرة، ثم شققتَها نِصفين، وأخرجْت النَّواة أو الحبَّة التي بداخلها فستجد عليه غشاء أبيض رقيقًا، هذا هو القِطمير.

فكُل مَن يُدعى مع الله مِن الخلق في العصور القديمة وإلى أنْ تقوم الساعة لا يَملكون هذا القِطمير، لا يَملكون هذا الغشاء الرقيق، لا يَملكون هذه القشرة الخفيفة جدًّا.

أفَيَلِيق بعد ذلك أنْ يُدعوا مع الله؟ أيَصِحُّ أنْ يُدعوا بتفريج الكُرب؟ أيَقبَل هذا عقلٌ صحيح؟ أيُعْقَل أنْ تَستسِيغَه نفسٌ سليمة؟

لا والله، لا يَليق، ولا يَصح، ولا يجوز.

ثم قال سبحانه بعد إخباره أنَّهم ما يَملكون مِن قطمير:

{ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ }.

انتَبِه يا مَن تدعو غير الله!، أعقِل وأبصِر!، فهذا ربُك العليم الخبير قد أخبَرك وقطَع وحَكم أنَّ مَن تدعوه معه لا يَسمعك، ولن يَسمعك، ولو أخذت تدعوه طول عمرك، وكل حياتك، وجميع أوقاتك.

لماذا لا يَسمعونك؟

لا يسمعونك لأنَّهم ما بين جمادات لا تَعقِل، أو أموات لا يَدرون عنك وما أنت فيه، أو ملائكة مشغولين بطاعة ربِّهم.

إلا أنَّ بعض الناس ـ هداهم الله وأصلح حالهم ـ قلوبهم قاسية، قلوبهم غليظة، قلوبهم قد ملأتها الظُّلمة، واستهوتها الأهواء، واستحوذَت عليها الشياطين، يَردُّون على الله خبَره، فلا يقبلونَه، ولا يُسلِّمون به، ولا يُصدِّقونه، فيقول قائلهم:

"بلى إنَّ سيدي فلان أو فلان إذا دعوته يَسمعُني ويُجيب طلبِي".

اسمع ماذا قال الله بعد ذلك في كبْت هذا القائل، وقهرِه، وتكذيبه:

{ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ }.

فماذا تُريد بعد هذا يا مَن تدعو مع ربِّك وخالقك غيرَه؟

ثم قال ـ جلَّ وعلا ـ بعد ذلك في شأن هؤلاء المخلوقين الذين تدعوهم مع الله، ويُدعون معه سبحانه:

{ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ }.

فحَكم سبحانه: بأنَّ دعاءك لهم معه شِرك وكُفر، وأنَّ الداعي لهم قد أشرك بالله.

والشِّرك أكبر وأعظم وأشد وأجرَم وأقبح ذنْب عُصِي اللهُ به.

وأخبَر: أن هؤلاء الذين تدعوهم معه سَيتبرَّؤون مِنك يوم القيامة، ويعادونك.

ثم ختم ـ عزَّ وجلَّ ـ الآية، فقال للخلق أجمعين:

{ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ }.

أي: لا أحد يُنبئك أصدَق مِن الله العليم الخبير، بهذا الأمر الجليل، وهو حُكم دعاء غيرِه معه، وأنَّه شِرك وكُفر.

وبحال هؤلاء المَدعُوّين معه، وأنَّهم ضعفاء، وضعفهم شديد جدًّا، وسَيتبرَّؤون يوم القيامة ويُعادون مَن دعاهم معه سبحانه.

فماذا تُريد بعد هذا الكشْف والتبيين؟

لقد بيَّن الله سبحانه لك حُكم وواقع هذا الأمر غاية البيان، ووضَّحه شديدًا، وجلَّاه تجلِية لا يحصل معها التباس.

فهو الذي خلقك، وخلق مَن تدعوهم معه، وخلق كل شيء، فلا تَشك في خبَره، ولا تكن فيه مِن المُمتَرين، فإنَّك لن تضُرَّ إلا نفسك، أنت مَن سَيهلك ويَخسر ويُعذَّب.

ـــ أهل الإسلام والقرآن ـ جعلكم الله مِن المُستمسِكين بكتابه القرآن ـ:

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في أول سورة "الأحقاف" آمِرًا نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم أنْ يقول لِهؤلاء الذين يدعون مع الله غيرَه، فيَدعون المخلوقين مِن ملائكة، أو رُسل، أو أنبياء، أو صحابة، أو شهداء، أو أولياء صالحين، أو غيرهم:

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ }.

يقول الله سبحانه في هذه الآيات العزيزات:

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } **أي:** قُل يا محمد لهؤلاء الذين يدعون مع الله غيرَه مِن أُمَّتِك.

{ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ } أي: أرُونِي ماذا خلق هؤلاء الذين تدعونهم مع الله؟ حتى يُعبدوا معه، وتُصرف لهم عبادة الدعاء معه.

هل خلقوا مِن أجرام السماوات والأرض شيئًا؟ هل خلقوا جبالًا؟ هل أجْرَوا أنهارًا أو بحارًا؟ هل أوجدوا حيوانًا؟ هل أنزلوا أمطارًا؟ هل أنبتوا أشجارًا؟ وهل كان مِنهم معاونة ولو يسيرة لله على خلق شيء مِن ذلك؟ هل كانوا شركاء لله في خلق السموات؟

لا والله لم يفعلوا شيئًا مِن ذلك، ولا رَأى الناس مِنهم قليلًا مِن ذلك، بل إنَّهم مِن ضعفهم وعجزهم ما يَملكون مِن قِطمير.

فكيف بعد هذا العجْز الشديد، والنقص العظيم، والضَّعف الكبير، يُدعون مع الله، وتدعونهم مع الله، وتُشرِكون بالله بسبب عبادتكم لهم، بصرف عبادة الدعاء لهم.

مَن أرشدكم إلى هذا الشِّرك؟ مَن دعاكم إلى صرْف عبادة الدعاء إلى غير خالقم؟ أهو سبحانه أمرَكم بذلك؟ أمْ هو شيء اقترحتموه مِن عند أنفسكم؟

قال الله سبحانه بعد ذلك في تحدِّيهم وتكذيبهم:

{ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا } أي: هاتوا كتابًا مِن كتب الله أُنزِل على نَبيٍّ قبل نُزول القرآن عليَّ يأمركم بدعاء غير الله، أو يُبيحُه لكم.

{ أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } أو هاتوا أثرًا صحيحًا موروثًا عن الرُّسل أو أحدِهم يأمركم فيه بدعاء غير الله، أو يُبيحُه لكم، إنْ كنتم صادقين في دعواكم.

ولكن لا دليل عندهم على ذلك، لأنَّ الرُّسل كلهم متفقون على تحريم دعاء أيِّ أحد مع الله، وقد زجَروا ونَهوا أقوامهم عن ذلك، وتظافرت نصوص القرآن عنهم بذلك.

وقد دلت هذه الآية الجليلة:

على أنَّ كل مَن دعا مع الله غيره، أو أباحَه للناس، أو سوَّغه، فلا دليل معه يَنصره، ولا حُجَّة له تَعضُده، ولا بُرهان عنده يُظهِره، لا مِن القرآن، ولا في الكتب المُنزَّلة قبلَه، ولا عن نبيِّنا محمد ﷺ، ولا عن غيره مِن الرُّسل والأنبياء.

وقد قال سبحانه مؤكدًا ذلك في سورة "فاطر":

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا }.

ثم قال سبحانه بعد تحدِّيهم وتكذيبهم في دعائهم غيره معه:

{ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ }.

فأخبر سبحانه في هذه الآية بثلاثة أمور:

الأوَّل: أنَّه لا أحد أضَلَّ مِن هذا الذي يدعو مع الله غيره، سواء كان رجلًا أو امرأة.

الثاني: أنَّ هذا المَدعو مع الله كائنًا مَن كان لا يَستجيب لِمَن دعاه، حتى ولو استمرَّ يدعوه مِن ساعته ويومه إلى أنْ تقوم القيامة.

الثالث: أنَّ هؤلاء الذين يُدعون مع الله لا يَسمعون مِن هؤلاء الداعين لهم دعاء، ولا يُجيبون لهم نداء، لأنَّهم ما بين جماد لا يَعقل، أو أموات لا يَدرون عنهم، أو ملائكة مشغولين بطاعة ربِّهم.

هذا هو حالهم في الدنيا مع مَن يدعونهم مع الله.

أما حالهم معهم يوم القيامة، فقد قال الله عنه بعد ذلك:

{ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ }.

اسمع يا مَن تدعو مع الله غيره!، انتبِه وتبصَّر!، إذا دعوت هذا النبي ـ عليه السلام ـ أو هذا الولِيَّ الصالح، فإنَّه في يوم القيامة، يوم الحشر والجزاء، سيتبرَّأ مِنك، ويكون مِن أعدائك، بسبب دعائك له، وسيكفر بدعائك له مع الله ربِّك وربِّه.

فماذا تريد بعد هذا البيان؟، وهذه التَّجلِية؟، وهذا الوضوح؟

أتَمْضِي في غيِّك وضلالك وانحرافك فتدعوهم مع الله؟ أم تتوب إلى ربِّك وتُقلع عن دعاء غيره معه كائنًا مَن كان؟

هذا والله هو الأليق بك كعبد لله، والواجب عليك شرعًا، والأسلَم لك حين تَلقَى ربَّك يوم القيامة، وتقف بين يديه للحساب والجزاء.

ـــ أهل الإسلام والقرآن ـ فقهكم الله بكتابه القرآن ـ:

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في آخِر سورة "الحَج" للناس جميعًا:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ }.

وهذا مَثَلٌ ضربه الله ـ جلَّ وعلا ـ لِيُبيِّن لنَا وللناس جميعًا:

قُبح وسفاهة وحماقة وضلال وإجرام كل مَن دعا مع الله غيره، سواء دعا ملَكًا مُقرَّبًا، أو دعا رسولًا، أو دعا نبيًّا، أو دعا صحابيًّا، أو دعا وليًّا صالحًا، أو دعا صِدِّيقًا، أو دعا شهيدًا، أو دعا مَن دعا مِن الخلق.

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ } إنَّه خطاب للمؤمنين والمشركين، فالمؤمنون يزدادون به علمًا وبصيرة وثباتًا، والمشركون تقوم عليهم به الحُجَّة.

{ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ } وهذا أمْر مِن الله بأنْ نُلقِي أسماعنا لهذا المَثل، فنَسمع ما فيه، ونتفهَّم ما احتوى عليه، ولا يُصادف مِنَّا قلوبًا لاهية، وأسماعًا مُعرِضة، بل نُلقِي إليه القلوب والأسماع.

ما هو هذا المَثل؟

{ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } **أي:** جميع مَن تدعونهم مع الله كانوا مَن كانوا، وفي أيِّ عصر وزمَن كانوا.

ما هو حالهم؟

{ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ }.

انظروا إلى شِدَّة ضعفهم، وعظيم عجزهم، وكبير نقصهم!.

إنَّهم عاجزون ـ ولو اجتمعوا جميعًا وتناصروا وتعاضدوا ـ عن خلق وإيجاد مِثل هذا الذباب، الذي هو مِن أحقر المخلوقات، وأخسِّها، وأصغرها، وأضعفها، فما بالكم بما هو فوقه مِن المخلوقات؟

أفيَليق بعد معرفة حالهم هذه أنْ يُدعوا مع الله؟ أيَصِحُّ أنْ يُدعو بتفريج الكُرب، وإزالة الشدائد، وتحصيل المنافع، وتنفيذ المطالب؟ أيَقبَل ذلك عقل صحيح؟ أيُعقَل أنْ تَستسِيغَه نفس سليمة؟

لا والله، لا يليق ذلك، ولا يَصحُّ، ولا يجوز.

ولكنَّها لا تَعْمَى الأبصار، بل حلَّ عَمَى القلوب التي في الصدور.

أتريدون أنْ تسمعوا إلى ضعف هؤلاء الذين يُدعون مع الله الأشد؟، وعجزهم الأوكد؟

قال الله سبحانه بعد ذلك:

{ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ } **أي:** حتى لو أتى هذا الذباب، هذا المخلوق الصغير، هذا المخلوق الضعيف ـ وهو الذُّباب ـ فأخذ مِن طعام أو شراب أو مُلْك هؤلاء الذين يُدعون مع الله شيئًا قليلًا، شيئًا يسيرًا جدًّا، فإنَّهم عاجزون عن ردِّه، عاجزون عن استنقاذه مِنه، عاجزون عن إعادته إلى ملكيتهم، عاجزون عن مقاومته والانتصار مِنه بردِّ ما أخذه.

وهذا غاية ما يصير مِن العجْز والضَّعف.

ثم قال الله تعالى بعد ذلك: { ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ } **أي:** ضَعُف الطالب لهذا الذُّباب لإرجاع ما أخذه مِنه، حيث لا يستطيع ردَّه واستنقاذه.

والطالب هو: هذا الذي يُدعَى مع الله بجلْب المنافع ودفع المضَار.

وضَعُف المطلوب، **وهو:** الذُّباب.

فكلٌّ مِنهما ضعيف، وأضعف مِنهما، مَن يتعلق بهذا الضعيف، ويُنزله منزلة ربِّ العالمين، فيدعوه كما يُدعَى الله، ويَستغيث به كما يُستغاث بالله، ويَعتمد عليه ويَحتمِي به كما يُعتمد على الله ويُحتمَى به، ويُلجأ إليه.

وإنَّ هذا لعجيب شديدًا، وغريب أكيدًا، أنْ يكون هؤلاء الذين يُدعون مع الله بهذا الضَّعف والعجْز مع الذُّباب، ثم يدعوهم أقوام مِن الناس مع الله بطلب أمور عِظام، وحاجات كِبار، ودفع شُرور جسام، وأضرار شداد.

ثم قال سبحانه بعد ذلك عن هؤلاء الذين يَدعون غيره معه:

{ ما قدروا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ }.

نعم والله، هذا الذي دعا مع الله غيره مِن المخلوقين ما قدَر الله حق قدْره، ولا عظَّمه حق تعظيمه، ولا أجلَّه حق إجلاله، ولا وقرَّه حق توقيره، حيث صرف ما هو حق خالص له، وهو العبادة، وهو الدعاء، صرفه لغيره، صرفه لِمخلوقين، صرفه لِمَن هو عبد لله مثله.

إنَّه قد سوَّى المخلوقَ الفقير العاجز مِن جميع الوجوه، بالخالق الغنيِّ القوي مِن جميع الوجوه، سوَّى مَن لا يَملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضَرًّا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، بمَن هو النافع الضَّار، المُعطِي المانع، مالك المُلك، والمُتصرف فيه بجميع أنواع التصريف، كامل القوة، كامل العِزَّة، ومِن كمال قوَّتِه وعِزَّتِه: أنَّ نواصِي الخلق جميعًا بيديه، وأنَّه لا يتحرك مُتحرك، ولا يَسكن ساكن، إلا بإرادته ومشيئته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

ومِن كمال قوته: أنَّه يُمسِك السماوات والأرض أنْ تزولا.
ومِن كمال قوته: أنَّه يبعث الخلق كلَّهم، أولهَّم وآخرَهم، بصيحة واحدة.
ومِن كمال قوته: أنَّه أهلَك الجبابرة والأُمَم العاتية، بشيء يسير، وسوط مِن عذابه قليل.

وقد قال الله ـ جلَّ وعزَّ ـ في تأكيد ذلك في أواخِر سورة "الزُّمَر":

{ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ }.

ـــ أهل الإسلام والقرآن ـ جعلكم الله مِن العاملين بالقرآن العظيم ـ:

قال الله ـ تبارك اسمُه ـ في سورة "الإسراء":

{ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا }.

وفي هاتين الآيتين الجليلتين:

يُبيِّن الله ـ جلَّ وعلا ـ لهؤلاء القوم الذين يَدعون الصالحين معه، فيَصرفون عبادة الدعاء للملائكة، أو الرُّسل، أو الأنبياء، أو الصحابة، أو الأولياء الصالحين:

بأنَّ هؤلاء المَدعوِّين معه لا يَملكون كشْف الضُّر مِن كرْب، أو مرض، أو فقر، أو شِدَّة، أو فتنة، أو غير ذلك، عمَّن دعاهم، فلا يستطيعون دفعه بالكلية، ولا يستطيعون أيضًا تحويله مِن شخص إلى آخَر.

فإذا كانوا بهذه الصفة مِن الضعف والعجْز أفيَليق أنْ يُدعوا مع الله؟ أيَقبَل ذلك عقل رشيد؟ أيُعقَل أنْ تَستِسيغَه نفس مستقيمة؟

لا والله، لا يَليق ولا يَصِح، ولا يجوز.

ثم أخبَر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في هذه الآية:

بأنَّ هؤلاء الصالحين الذين يُدعون معه لا يَصرفون عبادة الدعاء ويتوجهون بها إلا إلى الله ربِّهم وخالقهم وحدَه، يرجون بذلك رحمته، والقُرب مِنه، ويخافون عذابه، حيث قال سبحانه:

{ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ }.

فإذا كان هذا هو حال عباد الله الصالحين:

لا يملكون كشْف الضُّر عن أحد، ولا يملكون تحويله عنهم إلى آخَرِين.

ولا يَصرفون عبادة الدعاء إلا إلى الله ربِّهم وحدَه.

أفلَا يكون في حالهم هذا تبصِرةً وزاجِرًا، ألَا يكون هاديًا ورادِعًا، ألَا يكون مُنبِّهًا ومُذكِّرًا، ألَا يكون مُعلِّمًا ومُفقِّهًا، لِمَن غرَّه الشيطان، وحرَفَه أئمة ودُعاة الضَّلال، وجرَّته نفسُه إلى الهَوان، وأذلَّها وأهلكَها وقادها إلى الخُسران، فأخذ يَدعو مع الله غيره؟ أخذ يدعو مع الله عبدًا مِثله، أخذ يدعو مع الله مَن لا يَملك لنفسه ولا لِغيره مِن باب أولَى ضَرًا ولا نفعًا، ولا يملك مِثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر مِن ذلك.

وصدق الله ـ تبارك وتقدَّس ـ إذ يقول لهذا النوع مِن الخلق الذين يَدعون معه غيرَه مُسفِّهًا ومُقبِّحًا ومُشنِّعًا:

{ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ }.

{ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ }.

{ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ }.

{ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ }.

{ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ }.

{ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ }.

{ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ }.

{ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ }.

هذا هو بعض حالهم وعجْزهم وضعفهم، قد جلَّاه الله لنَا تجلية ظاهرة، وأوضَحه وضُوحًا كبيرًا، وكشَفه كشْفًا مُبينًا، وبصَّرنا بِه حتى لا نكون مِن أهل الجَهالة، وعَمَى القلوب، وخراب النُّفوس.

إنَّهم لا يستطيعون نصْرنا بشيء، ولا حتى نصَر أنفسهم، بل ذلك كله لله وحدَه، وبيده وحدَه.

إنَّهم لا يملكون مثقال ذرَّة في السماوات ولا في الأرض، ولا أصغر مِن ذلك، بل ذلك كله لله وحدَه، وبيده وحدَه.

إنَّهم لا يملكون كشْف الضُّر عنَّا ولا تحويله إلى غيرنا، بل ذلك كله لله وحدَه، وبيده وحدَه.

إنَّهم لا يملكون لأنفسهم ضَرًّا ولا نفعًا، بل ذلك كله لله وحدَه، وبيده وحدَه.

إنَّهم عِبادٌ مخلوقون كما أنَّ مَن يدعوهم مع الله عبدٌ مخلوق مِثلهم.

إنَّهم لا يَسمعون مَن دعاهم.

إنَّهم لا يستجيبون لِمَن دعاهم حتى ولو استمرَّ يدعوهم إلى يوم القيامة.

إنَّهم غافلون عن دعاء مَن يدعوهم مع الله.

وأنَّهم لا يَخلقون شيئًا، بل مخلوقون.

إنَّهم عِبادٌ مطلوب مِنهم أنْ لا يَصرفوا عبادة الدعاء إلا لله وحدَه، كما هو مطلوب مِن جميع الخلق مِثل ذلك.

إنَّهم عِبادٌ لم يَصرفوا عبادة الدعاء إلا لله وحدَه.

ألَا فلنَكُن مِثلهم، ولنَسِر على ما ساروا عليه، فلا نَصرف عبادة الدعاء إلا لِربِّنا وخالِقنا ومُدبِّر أمورِنا وحدَه، فذلك هو الصِّراط المُستقيم.

وقد قال الله سبحانه في سورة "الأنعام":

{ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

وقال تعالى أيضًا:

{ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ }.

وقال ـ جلَّ وتقدَّس ـ في سورة "الكهف":

{ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ }.

ـــ أهل الإسلام والقرآن ـ رزقكم الله عقولاً راجحة تهديكم إلى الحق ـ:

قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في آخِر سورة "المؤمنون":

{ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ }.

وقد أفادت هذه الآية الكريمة ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى:

أنَّ مَن دعا مع الله غيرَه ـ سواء دعا ملَكًا، أو دعا رسولًا، أو دعا نبيًّا، أو دعا صحابيًّا، أو دعا وليًّا صالحًا، أو دعا صنمًا، أو دعا شجرةً، أو دعا نارًا، أو دعا شمْسًا، أو دعا كوكبًا، أو دعا مَن دعا مِن خلق الله:

فقد جعله إلهًا له مع الله سبحانه، شاء أمْ أبَى، رضِي أمْ كَرِه، عقِل أمْ لم يَعقِل.

حيث قال الله سبحانه في أوَّل هذه الآية:

{ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ }.

ولمَّا ذَكر ـ جلَّ وعلا ـ عباده الصالحين في أواخِر سورة "الفرقان" قال سبحانه في بيان صفاتهم:

{ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ }.

أي: لا يَصرفون عبادة الدعاء لأحد غير الله ـ عزَّ وجل ـ.

وقال تعالى في سورة "القصَص":

{ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }.

فأنت يا مَن تَدعو مع الله غيرَه تبصَّر وانتَبِه لنفسِك!.

فإنَّك إنْ دعوت رسول الله ﷺ مع الله، فقد جعلتَه لك إلهًا آخَر مع الله، أو دعوت "البَدوي" مع الله، فقد جعلتَه لك إلهًا آخَر مع الله، أو دعوت "الجَيلاني" مع الله، فقد جعلتَه لك إلهًا آخَر مع الله، أو دعوت الحُسين ـ رضي الله عنه ـ مع الله، فقد جعلتَه لك إلهًا آخَر مع الله، أو دعوت "التيجاني" مع الله، فقد جعلتَه لك إلهًا آخَر مع الله، أو دعوت "رابعة العَدَوية" مع الله، فقد جعلتَها لك إلهًا آخَر مع الله، أو دعوت مَن دعوت مِن الخلق.

هذا حُكم الله ـ جلَّ وعلا ـ ونصُّ كتابه العزيز القرآن في كل مَن دعا معه غيرَه.

الفائدة الثانية:

أنَّ مَّن دعا غير الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فلا حُجَّة عنده تُبيح له صرْف عبادة الدعاء لغير الله، ولا دليل ولا بُرهان معه يَعضد قوله وفعله، لا في القرآن المَجيد، ولا في السُّنة النَّبوية الصَّحيحة، ولا عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضِي عنهم.

حيث قال الله سبحانه في الجزء الثاني مِن هذه الآية:

{ ومَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ }.

بل إنَّ الله ـ تبارك وتقدَّس ـ قد أمَر نبيَّه محمدًا ﷺ أنْ يَتحدَّى مَن يَدعو مع الله غيره مِن قومه وغيرهم بأنْ يأتوا بدليل مِن كتاب نزَل على نَبِيٍّ قبله، أو أثرٍ ثابت موروث عن أحد مِن الأنبياء أنَّه أباح وجوَّز لقومه دعاء أحد مع الله، فعجزوا عن ذلك غاية العجْز، ورجعوا بالإفلاس والخَيبة.

حيث قال سبحانه في أوَّل سورة "الأحقاف":

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }.

فانتَبِه يا مَن تدعو الحسين، انتَبِه يا مَن تدعو العيدروس، انتَبِه يا مَن تدعو الشَّاذلي، انتَبِه يا مَن تدعو زينب، انتَبِه يا مَن تدعو فاطمة الزَّهراء، انتَبِه يا مَن تدعو الزَّيلعي، انتَبِه يا مَن تدعو غير هولاء.

لا تَقل لبَّس عليَّ ولِيُّ الفقيه والآية فلان، أضَلَّنِي شيخ الطريقة الصوفية، أغواني مُفْتِي بلاد كذا، انخدَعت بكلام الشيخ فلان، وثقت بكلام الداعية فلان.

فإنَّ الله ـ جلَّ وعلا ـ قد جلَّى لك حُرمَة دعاء غيره معه في كتابه القرآن في آيات كثيرات، وبطُرق متنوعة، وصور مُتعدِّدة واضحة بيِّنة.

وبيَّن سبحانه لك أنَّه لا حُجَّة ولا بُرهان مع أحد يُبيح دعاء غير الله معه، لا في القرآن، ولا في ما سَبقه مِن الكتب، ولا عن نبيِّه محمد ﷺ، ولا عن أحد ممَّن سَبق مِن الرُّسل والأنبياء.

الفائدة الثالثة:

تهديد مَن دعا مع الله غيرَه بأنَّه سَيقدم على ربِّه يوم القيامة، فيُجازيه على دعائه معه غيرَه، ولن يُنيلَه مِن الفلاح شيئًا، عقوبة له، لأنَّ دعاء غير الله مع الله شِرك وكُفر، وفاعل ذلك قد كفَر وأشرَك.

حيث قال سبحانه في ختام هذه الآية:

{ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عند ربه إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ }.

وقال ـ عزَّ وجل ـ في سورة "الشُّعراء":

{ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ }.

وصحَّ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ)).

[أخرجه: البخاري (٤٤٩٧).]

وصحَّ عن النبي ﷺ أنَّه قال:

((تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ، بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالمُصَوِّرِينَ)).

[أخرجه: أحمد (٨٤٣٠)، والترمذي (٢٥٧٤)، وغيرهما.]

ـــ أهل الإسلام والقرآن ـ جعلكم الله مِمَّن لا يَصرف العبادة إلا له سبحانه :-

إذا نظرنا في كتاب الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وهو القرآن العزيز، وقرأناه، وتدبَّرنا فيما نَقرأ مِنه بقلوب خاشعة، وأنفس للحق راغبة طالبه:

فسَنجِد صورًا كثيرة في شأن عبادة الدعاء، ودعاء غير الله معه، وأنَّ العِباد مَنهيون عنه، وهو مُحرَّم عليهم، ومُتوعَّدون عليه بالعذاب الشديد.

ـــ فتارة يأمر الله عباده بإفراده وحدَه بعبادة الدعاء.

حيث قال الله سبحانه في سورة "غافِر":

{ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }.

وقال سبحانه في سورة "الأعراف":

{ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ }.

ـــ وتارة يَنهى الله عباده عن دعاء غيره معه.

حيث قال سبحانه في سورة "الجَن":

{ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا }.

ـــ وتارة يُبيِّن الله لعباده أنَّ صرف عبادة الدعاء لغيره شِرك وكُفر.

حيث قال الله سبحانه في سورة "الجن":
{ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا }.
وقال سبحانه في سورة "فاطر":
{ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ }.
ـــ وتارة يَحكُم الله على مَن دعا غيره معه بأنَّه مِن الكافرين الذين لا يُفلحون.
حيث قال الله سبحانه في سورة "المؤمنون":
{ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ }.
ـــ وتارة يَحكُم الله على مَن دعا غيره معه بأنَّه مِن الظالمين،.
حيث قال الله سبحانه في سورة "يونس":
{ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ }.
ـــ وتارة يَحكُم الله بأنَّ مَن دعا غيره معه فقد جعلَه له إلهًا آخَر مع الله.
حيث قال الله سبحانه في سورة "الشُّعراء":
{ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ }.
وقال سبحانه في سورة "القَصص":
{ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }.
وصحَّ أنَّ رسول الله ﷺ قال:
((تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ، بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالمُصَوِّرِينَ)).
[أخرجه: أحمد (٨٤٣٠)، والترمذي (٢٥٧٤)، وغيرهما.]
ـــ وتارة يُخبِر الله بأنَّه لا أحد أضَل مِن هذا الذي يدعو مع الله غيره.
حيث قال الله سبحانه في سورة "الأحقاف":
{ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ }.

وقال سبحانه في سورة "الحَج":
{ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ }.
ـــ وتارة يُبيِّن الله أنَّ دعاء غيره معه مِن أفعال أهل الشِّرك والكُفر، وأنَّهم يؤمنون به، ويكفرون بدعاء الله وحدَه.
حيث قال الله سبحانه في سورة "الأنعام":
{ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ }.
وقال سبحانه في سورة "العنكبوت":
{ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ }.
وقال سبحانه في سورة "النَّحل":
{ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ }.
وقال سبحانه في سورة "غافر":
{ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ}.
ـــ وتارة يَحكُم الله بأنَّ دعا غيرِه معه هو الباطل.
حيث قال الله سبحانه في سورة "الحَج":
{ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ }.
ـــ وتارة يُخبِر الله عباده بأنَّ من يُدْعَون معه مِن الخلق لا يَسمعون ولا يَستجيبون لِمَن دعاهم بشيء، لا بقليل ولا كثير، ولا صغير ولا كبير، ولا حقير.
حيث قال الله سبحانه في سورة "الرعد":
{ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ }.
وقال سبحانه في سورة "فاطر":
{ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا }.
وقال سبحانه في سورة "الرَّعد":
{ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ }.

وقال سبحانه في سورة "الأحقاف":

{ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ }.

ـــ وتارة يُبيِّن الله لعباده بأنَّ غيرَه لا يَصلح لأنْ يُدعَى معه لضعفِه وعجْزه ونقصِه الشديد الكبير، فلا يستطيع نصْر مَن دعاه، ولا كشْف ضُرِّه، ولا تحويله عنه، ولا جلب النفع إليه.

حيث قال الله سبحانه في سورة "الأعراف":

{ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ }.

وقال سبحانه في سورة "الحَج":

{ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ }.

وقال تعالى أيضًا:

{ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ }.

وقال سبحانه في سورة "الإسراء":

{ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا }.

وقال سبحانه في سورة "النَّحل":

{ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ }.

وقال سبحانه في سورة "الأحقاف":

{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }.

وقال سبحانه في سورة "سبأ":

{ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ }.

ـــ وتارة يُخبِر الله عباده بأنَّ هولاء الذين يُدعون معه سَيتبرَّؤون مِمَّن دعاهم مع الله يوم القيامة، ويُعادونهم، ويَكفرون بدعائهم لهم مع الله، ولن ينفعونهم في الآخرة بشيء.

حيث قال الله سبحانه في سورة "الأحقاف":

{ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ }.

وقال سبحانه في سورة "فاطر":

{ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ }.

وقال سبحانه في سورة "فُصِّلت":

{ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ }.

ـــ وتارة يُبيِّن الله لعباده أنَّ المَدعوّين معه عباد له مِثل الدَّاعين لهم، وحق المعبود أنْ يَعبُد الله وحدَه، وليس أنْ يُعبَد مع الله فيُدعَى معه، وتُصرف له العبادة كالدعاء وغيرها.

حيث قال الله سبحانه في سورة "الأعراف":

{ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }.

ـــ وتارة يُبيِّن الله لعباده بأنَّ عباده الصالحين لا يدعون غيره معه.

حيث قال الله سبحانه في سورة "الفرقان":

{ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ }.

وقال سبحانه في سورة "الإسراء":

{ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا }.

ـــ وتارة يَأمر الله نبيَّه ﷺ أنَّ يَصبِر نفسَه مع القوم الذين لا يَدعون إلا الله ربُّهم وخالقهم.

حيث قال الله سبحانه في سورة "الكهف":

{ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ }.

ـــ وتارة يَنْهَى الله الله نبيَّه ﷺ أنَّ يَطرُد مِن مجلسه القوم الذين لا يَدعون إلا الله ربُّهم وخالقهم.

حيث قال الله سبحانه في سورة "الأنعام":

{ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ }.

ـــ وتارة يُبيِّن الله لعباده أنَّ هؤلاء الذين يدعون مع الله غيره حقيقة أمرهم أنَّهم إنَّما يدعون ويَعبدون عدوَّهم الشيطان، لأنَّه هو الذي سوَّل لهم، وجرَّهم إلى هذا الشِّرك العظيم القبيح، وزيَّنه في نفوسهم، فاستجابوا له وأطاعوه.

حيث قال الله سبحانه في سورة "النساء":

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦) إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١١٩) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١) }.

ـــ أهل الإسلام والقرآن ـ ستركم الله في الدنيا والآخِرة وأكرمكم بمغفرته :-

ـــ أتدرُون ـ بصَّركم الله بدِينِه ـ عن المُشكلة الكبرى التي كانت بين نَبيِّ الله وخليله إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبين قومه فيما كانت؟

لقد كانت في صرْف قومه العبادة لغير الله، لاسِيَّما عبادة الدعاء.

حيث قال الله ـ جلَّ شأنه ـ في سورة "مريم" مبيِّنًا ذلك لنَا:

{ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا

(٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠) }.

ـــ أسَمِعتُم ـ فقهكم الله في دِينه ـ عن المُشكلة الكبرى التي كانت بين الفِتية الذين قصَّ الله علينا نبأهم في سورة "الكهف" مع قومهم فيما كانت؟

لقد كانت أيضًا في صرْف قومهم العبادة لغير الله، لاسِيَّما عبادة الدعاء.

فالفِتية بعد إيمانهم بالله أصبحوا لا يَدعون إلا الله وحدَه، وقومُهم كانوا يدعون مع الله غيره، ويُريدون مِن الفِتية البقاء على دِينهم في دعاء غير الله معه.

حيث قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ مُبيّنًا ذلك في سورة "الكهف":

{ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا }.

فأخبَر هؤلاء الفِتية الأفذاذ في هذه الآية:

بأنَّهم لن يَصرفوا عبادة الدعاء لأحد غير الله، لأنَّه لا رَبَّ ولا إله لهم وللعالَمين غيره، وكل ما دونه فهو مخلوق له:

وأنَّهم إنْ دعوا غيرَه معه، فقد قالوا بدعائهم له شططًا مِن القول.

يَعني: قولًا غاليًا مِن الكذب، مُجاوِزًا مقداره في البُطول والغُلوّ والجور والخروج عن الحق.

ـــ أبلَغكُم ـ سدَّدكم الله ـ نَبأ المُشكلة الكبرى التي كانت بين نَبيِّ الله إلياس ـ عليه السلام ـ وبين قومه؟

لقد كانت أيضًا في صرف قومه العبادة لغير الله، لاسِيَّما عبادة الدعاء.

حيث قال الله ـ جلَّ وعلا ـ مُخبرًا عن ذلك في سورة "الصافات":

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ }.

ـــ أتعلمون ـ أكرمكم الله باتِّباع السُّنة ـ عن المُشكلة الكبرى التي كانت بين نَبيِّ الله محمد ﷺ وبين مُشرِكي قومه؟

لقد كانت أيضًا في صرف قومه العبادة لغير الله، لاسِيَّما عبادة الدعاء.

حيث قال الله ـ تبارك وتقدَّس ـ مُعلِمًا لنَا عن ذلك في سورة "الأنعام":

{ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ }.

بل إنَّ الله تعالى قد أمَر نبيَّه ﷺ بأنْ يكون أصحابه وجلساؤه الذين يَصبِر نفسَه معهم مِن الذين لا يدعون إلا الله وحدَه، ونهاه أنْ يُفارقهم ويَتجاوزَهم إلى غيرهم.

فقال سبحانه في سورة "الكهف":

{ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا }.

ونَهاه سبحانه أنْ يَطردهم مِن مجلسه، ويُبعدَهم عنه.

فقال ـ جل وعلا ـ في سورة "الأنعام":

{ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ }.

بل إنَّ أهل الجنَّة يتذاكرون فيما بينَهم سبب وقاية ربِّهم لهم مِن عذاب النَّار، وإكرامه لهم بالجنَّة، وأنَّه صرْفُهم العبادات لله وحدَه في حياتهم الدنيا، ومِنها عبادة الدعاء.

حيث قال الله ـ جلَّ وعزَّ ـ عن قولهم هذا في سورة "الطور":

{ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ }.

ـــ أهل الإسلام والقرآن ـ أكرمكم الله برضوانه والجنَّة ـ:

لو تدبرنا القرآن حق تدبُّره، وتلوناه تلاوة طالب لمعرفة أحكامه، ومُريد للعمل بما فيه مِن أوامِر ونواهي، لوجدنا فيه:

أنَّ الرُّسل والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وأتباعهم لا يَصرفون العبادة لغير ربِّهم سبحانه، لاسِيّما عبادة الدعاء.

ـــ فهذا نَبيَّ الله نوح ـ عليه والسلام ـ لمَّا كذَّبه قومه، وأيس مِن استجابتهم له فيما دعاهم إليه، دعا ربَّه بنصْرِه والانتصار له، ولم يَصرف هذه العبادة

الجليلة إلا له سبحانه، فلم يَدع جبريل، أو آدم ـ عليهما السلام ـ، ولا غيرهما مِن الخلق.

حيث قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عنه في سورة "القمر":

{ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ }.

فماذا كانت العاقبة؟ وكيف كانت النتيجة؟

قال الله سبحانه عنها في نفس السورة:

{ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٥) }.

وقال سبحانه عنها في سورة "الأنبياء":

{ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ }.

ـــ وهذا نَبيُّ الله وخليله إبراهيم ـ عليه والسلام ـ لمَّا خاف على نفسه وبنِيه عبادة الأصنام، وترَك أهله في واد غير ذي زرع لا أحد به، لم يُدع إلا ربَّه وخالقه أنْ يُجنِّبه ويُجنِّبهم عبادتها، وأنْ يجعلهم مِمَّن يُقيم الصلاة، ويَمُن عليهم بالرِّزق، وإقبال الناس عليهم.

حيث قال الله ـ جلَّ وتقدَّس ـ عنه في سورة "إبراهيم":

{ وَإِذْ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) }.

ـــ وهذا نَبِيُّ الله أيوب ـ عليه والسلام ـ حين بلغ به الضُّر مبلغًا عظيمًا، ومكث صابرًا عليه سنين عديدة، حتى تغيَّر جسده عن سابقه إلا قليلًا، وابتعد عنه الناس فلم يَبق معه إلا امرأته ورجلان مِن قومه، وقد همَّا بتركه.

فبَعد هذا الضُّر، وهذه المُدَّة، رفع ضُرَّه إلى ربِّه وحدَه، وتوجَّه بشكواه إلى خالقه، ولم يَصرف عبادة الدعاء إلا له سبحانه، ولم يَصرفها إلى جبريل، أو آدم، أو نوحًا، أو إبراهيم ـ عليهم السلام ـ، ولا غيرهم.

حيث قال الله ـ تبارك وتقدَّس ـ مُخبِرًا عن شأنه هذا في سورة "الأنبياء":

{ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }.

فماذا كانت العاقبة؟ وكيف كانت النتيجة؟

قال الله سبحانه عنها في نفس السورة:

{ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ }.

وقال عنها في سورة "ص":

{ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣) }.

ـــ وهذا نَبِيُّ الله يونس ـ عليه والسلام ـ حين التقَمه الحوت في بطنه، واجتمعت عليه ظلمات ثلاث، ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، لم يَدع إلا الله وحدَه، ولم يَصرْف عبادة الدعاء إلا لِربِّه.

حيث استغاث به دون غيره، فنجَّاه مِن غمِّه، وفرَّج عنه كرْبَه، ولم يَدع جبريل، ولا ميكائيل، ولا إسرافيل، ولا آدم، ولا نوحًا، ولا إبراهيم، ـ عليهم السلام ـ ولا غيرهم.

حيث قال الله ـ جلَّ وعزَّ ـ عنه في سورة "الأنبياء":

{ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ }.

فماذا كانت العاقبة؟ وكيف كانت النتيجة؟

قال الله سبحانه عنها في نفس السورة:

{ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ }.

وقال سبحانه عنها في سورة "ص":

{ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢)

فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ (١٤٨) }.

ـــ وهذا نَبِيُّ الله زكريا ـ عليه والسلام ـ حين أحبَّ أنْ يكون له ولد يَخلفه ويَرث النُّبوة والعلم والعمل مِن بعده، وهو شيخ كبير قد اشتعل رأسه بالشَّيب، وامرأته عاقر لا تَلد.

لكن الأمور كلها بيد الله، ما قضاه كائن لا رادَّ له ولا دافع، فتوجَّه إلى ربِّه ودعاه وحدَه، ولم يَدع جبريل، ولا ميكائيل، ولا إسرافيل، ولا آدم، ولا نوحًا، ولا إبراهيم ـ عليهم السلام ـ، ولا غيرهم.

حيث قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عنه في سورة "آل عمران":

{ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ }.

فماذا كانت العاقبة؟ وكيف كانت النتيجة؟

قال الله سبحانه عنها في نفس السورة:

{ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) }.

وقال سبحانه عنها في سورة "الأنبياء":

{ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠) }.

ـــ وهذا نَبِيُّ الله وكليمه الله موسى ـ عليه والسلام ـ لمَّا تهدَّده فرعون مصر بالقتل، وتهدَّدوه بالرَّجم، لم يَدع إلا الله وحدَه، ولم يَستعذ إلا بخالقه.

حيث قال الله ـ جلَّ وعلا ـ في خبَره مع فرعون وقومه في سورة "غافر":

{ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ }.

وقال سبحانه عنها في سورة" الدُّخَان":

{ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (٢١) فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٢٣) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (٢٤) }.

ـــ وهذا عبد الله وأفضل أنبيائه وخاتمهم وسيِّد ولد آدم أجمعين محمد بن عبد الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ حين كان مع أصحابه في غزوة بدر، وهُم في قِلَّة مِن العدد، وقِلَّة مِن الخيل، وقِلَّة مِن السلاح، وأهل الشِّرك في كثرة مِن العدد، وكثرة مِن الخيل، وكثرة مِن السلاح، لم يَدع جبريل، ولا ميكائيل، ولا إسرافيل، ولا آدم، ولا نوحًا، ولا إبراهيم، ولا موسى ولا أحدًا مِن الرُّسل والأنبياء ـ عليهم والسلام ـ، وإنَّما دعا مَن لا يجوز أنْ يُدعَى إلا هو، ومَن لا يجوز أنْ يُستغاث به في الشدائد والكُروب إلا هو، ومَن إذا أراد شيئًا فإنَّما يقول له كُن فيكون، دعا الله ربَّ العالمين وحدَه.

حيث قال الله ـ جلَّ وعلا ـ عنه وعن أصحابه حينها في سورة "الأنفال":

{ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ }.

أي: يَردف بعضهم بعضًا.

وصحَّ عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنَّه قال:

((لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ } فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ))

[أخرجه: مسلم (١٧٦٣).]

ـــ وهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ لم يكونوا يَدعون في كُروبهم، وعند حاجاتهم، ونُزول الضُّر بِهم وبأموالهم وبلادهم أحدًا مِن الخلق، فلا يدعون نبيَّهم محمدًا ﷺ، ولا غيره مِن الرُّسل والأنبياء ـ عليهم والسلام ـ ، ولا أحدًا مِن الملائكة ـ عليهم والسلام ـ، ولا أحدًا مِن الخلفاء الراشدين المَهديين الأربعة ـ رضي الله عنهم ـ، وإنَّما يدعون الله وحدَه بأنفسهم، أو يطلبون مِن النبي ﷺ أنْ يدعو الله لهم.

فصحَّ عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ:

((أَنَّ رَجُلًا، دَخَلَ المَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ القَضَاءِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا» قَالَ أَنَسٌ: وَلاَ وَاللَّهِ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلاَ قَزَعَةً وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلاَ دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلاَ وَاللَّهِ، مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» قَالَ: فَأَقْلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ)).

[أخرجه: البخاري (١٠١٤)، ومسلم (٨٩٧).]

فانظروا ـ فقهكم الله ـ إلى هذا الصحابي، وبمَشهد مِن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، وفي أثناء خطبة الجمعة، حيث لم يَقل: "يا رسول الله أغثنا، يا رسول الله أنزِل علينا المطر"، وإنَّما قال:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُغِيثُنَا)).

ولم يَقل في المَرة الثانية أو غيره: "يا رسول الله أمسِك المطر عنَّا، يا رسول الله احبِس المطر عنَّا"، وإنَّما قال:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا)).

وصحَّ أنَّ رسول الله ﷺ قال:

((«يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «اللهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»، ثُمَّ قَامَ آخَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»)).

[أخرجه: البخاري (٥٨١١ و ٦٥٤١ و ٥٧٠٥)، ومسلم (٢١٦ و ٢١٨ و ٢٢٠)، وغيرهما، عن جمع مِن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.]

وصحَّ أنَّ أُمَّ حَرَامٍ بنت مِلْحَان ـ رضي الله عنها ـ أنَّها قالت:

((نَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا قَرِيبًا مِنِّي، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَتَبَسَّمُ، فَقُلْتُ: مَا أَضْحَكَكَ؟ قَالَ: «أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ يَرْكَبُونَ هَذَا الْبَحْرَ الأَخْضَرَ كَالْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ» قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَدَعَا لَهَا، ثُمَّ نَامَ الثَّانِيَةَ، فَفَعَلَ مِثْلَهَا، فَقَالَتْ مِثْلَ قَوْلِهَا، فَأَجَابَهَا مِثْلَهَا فَقَالَتْ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ»، فَخَرَجَتْ مَعَ زَوْجِهَا عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ غَازِيًا أَوَّلَ مَا رَكِبَ الْمُسْلِمُونَ الْبَحْرَ مَعَ مُعَاوِيَةَ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا مِنْ غَزْوِهِمْ قَافِلِينَ، فَنَزَلُوا الشَّأْمَ، فَقُرِّبَتْ إِلَيْهَا دَابَّةٌ لِتَرْكَبَهَا، فَصَرَعَتْهَا، فَمَاتَتْ)).

[أخرجه: البخاري (٢٧٩٩)، ومسلم (٨٩٧).]

وصحَّ عن أُمِّ سُلَيم ـ رضي الله عنها ـ أنَّها قالت:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَسٌ خَادِمُكَ ادْعُ اللَّهَ لَهُ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ، وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ»)).

[أخرجه: البخاري (٦٣٧٨)، ومسلم (٦٦٠ و ٢٤٨٠).]

وصحَّ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّه قال:

((كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا

هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَبْشِرْ قَدِ اسْتَجَابَ اللهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ خَيْرًا، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمِ الْمُؤْمِنِينَ» فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي)).

[أخرجه: مسلم (٢٤٩١).]

وصحَّ عن أبي هريرة أو أبي سعيد ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه قال:

((لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افْعَلُوا»، قَالَ: فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَدَعَا بِنِطَعٍ، فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، قَالَ: وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ»، قَالَ: فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ، حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَئُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ»)).

[أخرجه: مسلم (٢٧).]

ـــ أهل الإسلام والقرآن ـ أحياكم الله وأماتكم على التوحيد والسُّنة ـ:

احذروا غاية الحذَر:

أنْ تَصرفوا العبادة أو شيئًا مِنها ولو عبادة واحدة لغير الله ـ عزَّ وجلَّ ـ.

احذروا أشدَّ الحذَر:

أنْ تَصرفوا عبادة الدعاء لغير الله، كائنًا مَن كان.

إيَّاكم:

أنْ تدعو مع الله رسوله ﷺ، فتقولوا: "فرِّج عنَّا يا رسول الله، أغثنا يا رسول الله".

إيَّاكم:

أنْ تدعو مع الله الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ، فتقولوا: "اشفنا يا حسين، أنقذنا يا حسين".

إيَّاكم:

أنْ تدعو مع الله البَدوي، فتقولوا: "مَدَد يا بدوي".

إيَّاكم:

أنْ تدعو مع الله العيدروس، فتقولوا: "أغثنا يا عيدروس، رُدَّ عنَّا ريحك يا عيدروس".

إيَّاكم:

أنْ تدعو مع الله زينب، فتقولوا: "شيئًا لله يا سيِّدة، فرجُك يا سيِّدة".

إيَّاكم:

أنْ تدعو مع الله الرِّفاعِي، فتقولوا: "شيئًا لله يا رِفاعِي".

احذروا:

أنْ تدعو مع الله الملائكة، أو الرُّسل، أو الأنبياء، أو الصحابة، أو الأئمة والعلماء، أو الأولياء والصالحين، أو الشهداء، أو غيرهم.

لأنَّ صرْف العبادة لغير الله، حتى ولو كانت عبادة واحدة، كعبادة الدعاء أو الذَّبح أو النَّذر أو الطواف:

شِرْك وكُفر أكبر مُخرِج لِفاعِله عن مِلَّة الإسلام.

والشِّرك أعظم وأكبر وأجرَم وأقبح ذنْب عُصِي الله به.

وقال العلامة سليمان بن عبد الله ـ رحمه الله ـ في كتابه "تيسير العزيز الحميد" (ص: ١٨٨ أو ١/ ٤٩٣-٤٩٤):

«وقد نصَّ العلماء مِن أهل المذاهب الأربعة، وغيرهم، في باب "حُكم المُرتَد" على:

أنَّ مَن أشرَك بالله فهو كافر، **أي:** عَبد مع الله غيره بنوع مِن أنواع العبادات.

وقد ثبَت بالكتاب، والسُّنة، والإجماع: أنَّ دعاء الله عبادة له.
فيكون صرفُه لغير الله شِركًا».اهـ

ـــ ومِن عقوبات هذا الشِّرك الشديدة الأليمة البئيسة:

أنَّ صاحبَه مِن الظالمين الذين حرَّم الله عليهم دخول الجنَّة، وجعل مأواهم النَّار، وبئس المصير.

حيث قال الله ـ تبارك وتعالى ـ في سورة "الأنعام":

{ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ }.

وصحَّ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ)).

[أخرج: البخاري (٤٤٩٧).]

وصحَّ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه قال:

((أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْمُوجِبَتَانِ؟ فَقَالَ: مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ)).

[أخرجه: مسلم (٩٣).]

وصحَّ أنَّ النبي ﷺ قال:

((تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ لَهَا عَيْنَانِ تُبْصِرَانِ، وَأُذُنَانِ تَسْمَعَانِ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ، يَقُولُ: إِنِّي وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ، بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَبِكُلِّ مَنْ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، وَبِالمُصَوِّرِينَ)).

[أخرجه: أحمد (٨٤٣٠)، والترمذي (٢٥٧٤)، وغيرهما.]

ـــ ومِن عقوبات هذا الشِّرك الشديدة الأليمة البئيسة أيضًا:

أنَّه لا يُغفَر لصاحبه إذا مات وهو مُستمِر على فِعله، ولم يُقلِع عنه، ويَتُب مِنه، وكان عند الله مِمَّن ضَلَّ ضلالًا بعيدًا، ومِن المُفترِين عليه إثمًا عظيمًا.

حيث قال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ في سورة "النساء":

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا }.

وقال سبحانه أيضًا:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا }.

ـــ ومِن عقوبات هذا الشِّرك الشديدة الأليمة البئيسة أيضًا:

أنَّه يُحبط جميع العبادات والأعمال الصالحة والطاعات التي سَبق أنْ فعلَها صاحبه أو سيفعلُها، ويَمحو ويَهدم جميع حسناته مِن صلاة، وزكاة، وصدقة، وصيام، وحج، وعمرة، وقراءة وإقراء للقرآن، وذِكر لله، وقيام بالليل، وصيام بالنهار، وبِرٍّ بالوالدين، وإحسان إلى القرابة والفقراء والمُحتاجين.

حيث قال الله سبحانه في سورة "الأنعام" بعد أنْ ذَكر عددًا مِن الرُّسل والأنبياء ـ عليهم والسلام ـ:

{ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }.

وقال سبحانه في سورة "الزُّمَر" آمِرًا عبده ورسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم:

{ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ }.

ـــ ومِن عقوبات هذا الشِّرك الشديدة الأليمة البئيسة أيضًا:

أنَّ صاحبه واقع في الضَّلال البعيد، ولا أحد أشد ضلالًا مِنه، وهو في أقصَى حدِّ الضَّلالة، وهو عند الله مِن الظالمين، إذ الشِّرك أعظم أنواع الظلم، وحقيقته أمرِه أنَّه عابد وداع للشيطان الذي سوَّل له ذلك وزيَّنه.

حيث قال الله ـ جلَّ وعلا ـ في سورة "الأحقاف":

{ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ }.

وقال سبحانه في سورة "الحَج":

{ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ }.

وقال سبحانه في سورة "يونس":

{ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }.

وقال سبحانه في سورة "لُقمَان":

{ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }.

وقال سبحانه في سورة "النساء":

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦) إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١١٩) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١٢٠) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١) }.

ـــ ومِن عقوبات هذا الشِّرك الشديدة الأليمة البئيسة أيضًا:

أنَّ صاحبه عُرضَة للآفات والبِليَّات وتلاعب الشياطين، كأنَّما خرَّ مِن السماء، فتخطِف الطير لحمَه وتُقطِّعه بمخالبها، وتَذهب به، أو تهوي به الريح في مكان سحيق بعيد، فلا يَصل إليه أحد بحال.

حيث قال الله سبحانه في سورة "الحج":

{ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ }.

وقيل: "شُبِّه حال المُشرك بحال الهاوي مِن السماء، لأنَّه لا يَملك لنفسه حيلة حتى يقع، حيث تُسقِطه الريح، فهو هالك لا محالة، إمَّا باستلاب الطير لحمه، أو بسقوطه في المكان السحيق".

[" فتحُ البيان في مقاصد القرآن" (٩/ ٤٦).]

ـــ أهل الإسلام والقرآن ـ جعلكم الله مِن أهل التوحيد الذين لا يُشركون بالله شيئًا ـ:

إنَّ التوحيد هو أوجَب عبادة كتبها الله على العباد إنسهم وجِنّهم، وأعظم طاعة يُتقرَّب بها إلى الله، وأجل حسَنة يفعلها العبد.

والتوحيد هو: إفراد الله وحدَه بجميع العبادات مِن صلاة وزكاة وصيام وحج ودعاء وذبح ونذر وطواف وغيرها .

وإنّ الشِّرك هو أشد مُحرَّم حرَّمه الله على عباده، وأعظم سيئة، وأكبر خطيئة.

والشِّرك هو: صرْف العبادة أو شيء مِنها لغير الله كالدعاء أو الذبح أو الطواف أو غيرها.

فمَن صرَف جميع عباداته لله وحدَه، فهو مُوحِّدٌ لله، ومِن أهل التوحيد العُظماء في الدنيا والآخرة.

ومَن صرَف العبادة أو شيئًا مِنها لغير الله ـ حتى ولو كانت عبادة واحدة كالدعاء ـ فهو مُشرِك، ومِن أهل الشِّرك والكُفر الخاسرين الهالكين.

ـــ ومِن فضائل التوحيد بإفراد الله وحدَه بجميع العبادات، واجتناب الشِّرك بعدم صرْف شيء مِن العبادات لغير الله:

أنَّ الذي لا يُشرِك مع الله أحدًا في عبادته موعود بالجنَّة، وعدم العذاب في النَّار، ولو وقعَت مِنه ذُنوب كِبار عِظام.

حيث صحَّ عن أبي ذَرٍّ ـ رضي الله عنه ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال:

((ذَلِكَ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ عَرَضَ لِي فِي جَانِبِ الحَرَّةِ، قَالَ: بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: وَإِنْ سَرَقَ، وَإِنْ زَنَى؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ شَرِبَ الخَمْرَ)).

[أخرجه: البخاري (٦٤٤٣)، ومسلم (٩٤).]

وصحَّ عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ أنَّه قال:

((كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ، يُقَالُ لَهُ: عُفَيْرٌ، قَالَ: فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ، قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»)).

[أخرجه: البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٣٠).]

ـــ ومِن فضائل التوحيد بإفراد الله وحدَه بجميع العبادات، واجتناب الشِّرك بعدم صرْف شيء مِن العبادات لغير الله، أيضًا:

أنَّ صاحبه موعود مِن الله بالمغفرة العظيمة، وإنْ كثرت خطاياه، وتعدَّدت ذُنوبه، وتنوعَّت آثامه.

حيث صحَّ أنَّ النبي ﷺ قال:

((يَقُولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: «وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً»)).

[أخر جه: مسلم (٢٦٨٧)، من حديث أبي ذَر ـ رضي الله عنه ـ.]

وثبت عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنَّه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

((قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»)).

[أخرجه: الترمذي (٣٥٤٠)، والطبراني في "المُعجم الأوسط"(٤٣٠٥) وأبو نُعيم في "الحلية" (٢/ ٢٣١).

وحسَّنه: الترمذي، وابن حجر العسقلاني، والسَّخاوي، والألباني، وذَكره الحافظ ضياء الدِّين المقدسي في كتابه "الأحاديث المُختارة مِمَّا لم يُخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما"(١٥٧١)، وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي: إسناده لا بأس به.]

ـــ ومِن فضائل التوحيد بإفراد الله وحدَه بجميع العبادات، واجتناب الشِّرك بعدم صرْف شيء مِن العبادات لغير الله،أيضًا:

أنَّ شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة لا ينالها إلا مَن أفرَد الله وحدَه بجميع العبادان، ولم يُشرك مع الله غيرَه في شيء مِنها، لا عبادة دعاء، ولا غيرها. وهذا شرط عظيم، فمَن حقَّقه كان مِن أهل الشفاعة، ومَن لم يُحقِّقه حُرِمَها.

حيث صحَّ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنَّ النبي ﷺ قال:

((لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا)).

[أخرجه: مسلم (١٩٩).]

ـــ ومِن فضائل التوحيد بإفراد الله وحدَه بجميع العبادات، واجتناب الشِّرك بعدم صرْف شيء مِن العبادات لغير الله،أيضًا:

أنَّ الله يَقبل شفاعة ودعاء المُصلِّين الأربعين على الميت المسلم إذا كانوا ممَّن لا يُشرِك به شيئًا في عبادته، ويَصرف جميع عباداته له وحدَه، عبادة الدعاء، وغيرها.

حيث صحَّ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

((مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً لاَ يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلاَّ شَفَّعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ)).

[أخرجه: مسلم (٩٤٨).]

ـــ ومِن فضائل التوحيد بإفراد الله وحدَه بجميع العبادات، واجتناب الشِّرك بعدم صرْف شيء مِن العبادات لغير الله،أيضًا:

جلْب الخيرات العظيمة، ودفع الشُّرور الكثيرة والكبيرة، عن العبد وأهل بيتِه مِن أبناء وبنات وزوجات، وغيرهم، بسبب عدم إشراكهم أحدًا مع الله في عباته، وإفراده وحدَه بجميع العبادات.

حيث صحَّ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنَّه قال:

((وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ: مَا أَصْبَحَ عِنْدَ آلِ عَبْدِ اللَّهِ شَيْءٌ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُمْ بِهِ سُوءًا، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ قَدْ عَلِمَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)).

[أخرجه أبو داود في كتاب "الزُّهد" (١٤١)، بإسناد صحيح.]

ـــ ومِن فضائل التوحيد بإفراد الله وحدَه بجميع العبادات، واجتناب الشِّرك بعدم صرْف شيء مِن العبادات لغير الله،أيضًا:

حصول الأمْن والاهتداء في الدنيا والآخِرة لأهل التوحيد الذين حافظوا على توحيدهم بإفراد الله وحدَه بجميع العبادات إلى الممات، ولم يَلبِسوه ويُدنِّسوه بظُلم الشِّرك بصرْف شيء مِن العبادة لغير الله، حتى ولو كانت عبادة واحدة كالدعاء.

فيَأمَنون مِن نُزول العقوبات التي نزَلت بمَن كان قبلَهم مِن الأُمَم بسبب عدم اجتنابهم الشِّرك في عبادة الله.

ويَأمَنون في بلدانهم على أنفسهم وأهليهم وأموالهم، وفي أسفارهم وإقامتهم، مِن تسلُّط الأعداء وشُرورهم ومكائدهم.
وتأمَن قلوبهم مِن المَخاوِف والأفزاع والتَّقلُّبات، لأنَّها مُتعلِّقةٌ بالله ربِّها، مُتوكِّلةٌ عليه، لا تَرجو وتخشى أحدًا سواه.
وهُم مُهتدون في الدُّنيا إلى الحق والصواب بالحُجَّة والدليل والبُرهان، حيث لم يَصرفوا عبادتهم إلا لله وحدَه، ولم يُشرِكوا معه أحدًا فيها، ولو بعبادة واحدة، كادعاء.
ومُهتدون في الآخِرة إلى جنَّات النعيم، وخالدون فيها أبدًا، جزاء توحيدهم لِربِّهم، وعدم إشراكهم في عبادته، وصرْف جميعها له وحدَه.
حيث قال الله سبحانه في سورة "الأنعام" وفي ختام آيات المُحاجَّة بين نبيِّه إبراهيم ـ عليه السلام ـ وقومه في أمر الشِّرك بالله في عبادته:
{ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ }.
والمُراد بالظُّلم في هذه الآية: الشِّرك.
وبهذا فسَّره النبي ﷺ لأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ.
حيث صحَّ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنَّه قال:
((لَمَّا نَزَلَتْ: { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } شَقَّ ذَلِكَ عَلَى المُسْلِمِينَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ: الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: { يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ })).
[أخرجه: البخاري (٣٤٢٩)، ومسلم (١٢٤).]

وقال الإمام ابن قيِّم الجوزية ـ رحمه الله ـ في كتابه "مفتاح دار السعادة" (٢/ ٢٧٣)، بعد هذا الحديث:
«**فالتوحيد:** مِن أقوى أَسباب الأَمْن مِن المَخاوِف، **والشِّرك:** مِن أعظم أَسباب حصول المِخاوِف».اهـ

هذا وأسأل الله ـ جلَّ وعلا ـ:
أنْ ينفعني وإيَّاكم بهذه الرسالة في الدنيا والآخِرة.
وأنْ يرزقنا العمل بكتابه وسُنَّة نبيِّه ﷺ، والتسليم لهما، وأنْ يُشرِّفنا بالانقياد لِما دلَّا عليه، وجاء فيهما، ويُكرِمنا بالعمل به، والدعوة إليه.

اللهم جنِّبنا الشِّرك صغيره وكبيرة وخفيَّه، وباعد بينَنا وبين أهله ودعاته وكتبه وقنواته وصوتياته، ووفق حُكَّام المسلمين للقضاء عليه، ومنع العِباد منه، وإزالة مظاهره وأسبابه، وكبْت دعاته.
اللهم إنَّا نعوذ بك مِن أنْ نُشرِك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لمَا لا نعلم، إنَّك سميع الدعاء، وأهل الرجاء، وواسع الفضل والعطاء، جواد كريم.

وما كان فيها مِن صواب وحق، فمِن الله وحدَه، هو المَانُّ بِه، والمُكرِم المُتفضِّل.
وما كان فيه مِن خَطَأٍ، فمِنِّي ومِن الشَّيطان، وليس الله ورسوله ودِينه في شيءٍ مِنه، وأنا راجع عنه، وأستغفر الله العظيم، وأتوب إليه.

تنبيه:

قال مُعِدُّ هذه المادة والرسالة:

عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن الجنيد الحُسيني الهاشمي القُرشي.

«هذه الرسالة كان أصلها مُحاضَرة أُولَى بعنوان:
"يا عابد الصالحين بل الله فاعبد".
ثم أُخْرى بعنوان:
"وقفات مع آيات التوحيد في القرآن العزيز".
ثم نقلَتْها وكتبَتْها مِن أشرطة التسجيل:
الفاضلة أمُّ عبد الرحمن، زوجة الأخ الفاضل عماد الشريف الهاشمي القُرشي.
فشَكر الله لهُما، وجزاهما خيرًا، وجعله عملًا صالحًا مُتقبَّلًا كثير الأجْر والثواب لِي ولهُما.
ثم راجعتها على قدْر الاستطاعة، وتركتها على نفس ما جاء في المُحاضَرة مِن جهة الأسلوب والألفاظ مع تغيير طفيف، وزِدت فيها بعض زيادات، واستفدت في تفسير الآيات مِن تفسير وكلمات العلامة عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ.
ومعلوم أنَّ المُلقَى غير المُحرَّر، فاقتضَى التنبيه».

وَ { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أنْ لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.